Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672
مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672
https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i2

الحنين في شعر جواد الحاج الجبوري

ماهر صبار فهد
مدرسة الكرار الابتدائية/ قسم تربية الناصرية/المديرية العامة لتربية ذي قار
mahersa5577@gmail.com

الملخص
يتناول هذا البحث موضوع الوطن في شعر جواد الحاج الجبوري، بوصفه أحد الموضوعات الأساسية التي ظهرت بوضوح في نتاجه الشعري, فقد عبّر الشاعر عن حبّه العميق للوطن، وصوّر معاناة الشعب وآلامه وآماله في الحرية والكرامة، مستعملًا لغة شعرية مؤثرة وصورًا فنية جميلة تعكس ارتباطه الروحي بالأرض والناس. يبيّن البحث كيف جسّد الشاعر مفهوم الوطن عن طريق عدة محاور، منها: الحنين إلى الأرض، التضحية من أجلها، نقد الواقع السياسي والاجتماعي، والدعوة إلى الإصلاح والوحدة, واعتمد الشاعر على الرموز والصور البلاغية التي جعلت الوطن يظهر ككائن حي يشعر بالألم والأمل. ويخلص البحث إلى أنَّ شعر جواد الحاج الجبوري يمثّل صوتًا وطنيًا صادقًا عبّر عن قضايا المجتمع وهمومه، وأنَّ الوطن في شعره ليس مجرد مكان جغرافي، بل هوية وانتماء وقيمة إنسانية يدافع عنها الشاعر بالكلمة الصادقة.

الكلمات المفتاحية : جواد الحاج الجبوري, الحنين, الشاعر, شعر .

Journal of the College of Education for Humanities
University of Thi-Qar \ ISSN:2707-5672

مجلة كلية التربيـة للعلـوم الانسـانيـة
جامعة ذي قار / الرقم المعياري 2707-5672

https://doi.org/10.32792/utq/jedh/v16i2

Nostalgia in the poetry of Jawad Al-Haj Al-Jubouri

Maher Sabbar Fahd
Al-Karrar Primary School / Nasiriyah Education Department / General Directorate of Education in Dhi Qar

mahersa5577@gmail.com

Abstract

This research examines the theme of homeland in the poetry of Jawad al-Hajj al-Jubouri, a central theme prominent in his poetic output. The poet expresses his profound love for his homeland, portraying the suffering, pain, and hopes of its people for freedom and dignity, employing evocative poetic language and beautiful imagery that reflects his spiritual connection to the land and its people. The research demonstrates how the poet embodies the concept of homeland through several axes, including longing for the land, sacrifice for its sake, critique of the political and social reality, and calls for reform and unity. The poet relies on symbols and rhetorical devices that make the homeland appear as a living entity experiencing pain and hope. The research concludes that Jawad al-Hajj al-Jubouri's poetry represents a genuine national voice that expresses the issues and concerns of society, and that the homeland in his poetry is not merely a geographical location, but rather an identity, a sense of belonging, and a human value that the poet defends with sincere words.

Keywords: Jawad Al-Haj Al-Jubouri, Nostalgia, Poet, Poetry.

المقدمة

يعدّ شعر الحنين من أهم الموضوعات التي نالت عناية الشعراء قديماً وحديثاً؛ بوصفه تعبّر عن العواطف الصادقة والمشاعر الجياشة, ولما تمتلكه من أحاسيس حزينة , فالحنين تجربة شعورية تطرق لها الشاعر العربي قديماً وحديثاً ولا زالت موضوعاً متناولاً من قبله معبراً عما يدور في داخله من شعور بالفقد والغربة, وقد أخذ أغلب الدارسين منذ القدم هذه الظاهرة بالتتبع في أشعار العرب ساعين إلى تقصي هذه الظاهرة الجميلة والتجربة الصادقة, فالشعراء القدماء كانت أغلب أشعارهم حنيناً ووقوفاً على الطلل, ثم أخذ هذا الشعر يتطور شيئاً فشيئاً , فتدخل فيه مشاعر أخرى ممتزجة به, فالحنين إلى الوطن له مكانة رفيعة في المشاعر الإنسانية؛ وذلك لارتباطه بمشاعر الانسان وعواطفه الخاصة, لذلك يعدُّ الحنين إلى الوطن من أبرز المشاعر الانسانية التي توجد عند البشر بدرجات متفاوتة تبعاً لظروف الانسان, الأمر الذي جعل من هذا الشعر يتطور على مر العصور متداخلاً مع مشاعر إنسانية نبيلة أخرى, فشعر الحنين لم يتخذ خطاً واضحاً في الشعر العربي القديم, لأنَّ تجربة الغربة التي خاضها العرب أثناء الغزوات والفتوحات وانعكاسها في الشعر هي كفيلة بأن تُظهر هذا الخط واضحاً ومتجذراً في الشعر, وبيان ملامحه والطريقة التي اتخذها الشاعر للإفصاح عن مشاعره تجاه تلك التجربة, فهو قد فارق وطنه وعشيرته والأهل والأبناء خروجاً للقتال, فكان شغل الشاعر الأول إبداء تلك المشاعر إلى دياره وأهله وأبنائه, واقفاً مع كل صغيرة وكبيرة من أرض وطنه, لذلك للمنازل والديار النصيب الأوفر من شعرهم, وذلك بالوقوف على منازل الأهل والأحباب ومغانيهم وآثارهم ورسومهم, باكياً عندها طويلاً.

ومفهوم الحنين للوطن تحديداً قد تطور في إرثنا الشعري بعد الفتوحات الإسلامية فكان الإحساس والانتماء أكثر وضوحاً, فصورة الوطن عند الشاعر في العصر الحديث لها وضع آخر, فالوطن عنده لم يكن عنواناً عابراً, فقد تعلّق به كثيراً وتكوَّنت صورة ذلك الوطن في ذهنه ومشاعره وامتزجت بانتمائه الوجودي حتى صار الحنين شعوراً قسرياً يفرض تمثلاته في شعرهم, فلم يكن علاقة سطحية, بل علاقة حميمية تجسدها العواطف الخالصة وتؤطرها الآلام والحسرات والشجون, ولعلَّ هذا التيار نجده حاضراً في العصر الحديث بـ(محمد مهدي الجواهري, وبدر شاكر السياب ابراهيم طوقان, ومحمود درويش, وأحمد مطر, وغيرهم الكثير), فقد صوروا لنا تلك المشاعر في تطرقهم لشعر الحنين الى الوطن, وقد كان له النصيب الأوفر في شعرهم وذلك لما عانوه من ألم وفقدان وغربة لأوطانهم, وتابعهم من بعد ذلك الشعراء المعاصرون في هذا الموضوع, فالشاعر جواد الحاج الجبوري كان ممَّن كتب شعراً في موضوع الحنين والغربة؛ لكونه قد مرّ بتجربة حزينة بوصفه فقدَ الأب فعانى ما عانى منذ طفولته, الأمر الذي جعله يعاني من ذلك الفقد, حيث خرج أغلب شعره إلى تلك الموضوعة ونعني بها موضوعة فقد العزيز, فشاعرنا كان مغايراً لسابقيهِ من الشعراء فقد صّور لنا الحنين وهو في أرض الوطن خلافاً لما كان سابقاً, الأمر الذي جعل تلك المشاعر تشغلُ أغلب قصائده, ولعل الدارس لتلك النصوص يجدها ممتلئة بمشاعر الحنين إلى الوطن التي جعلها موضوعاً معادلاً لفقدانه الأب والأم والحبيبة, الأمر الذي جعله يأخذ منه مآخذاً كثيرة تمظهرت في أشعاره, الأمر الذي جعلنا نتطرق لكل هذه النصوص التي تحمل تلك المشاعر ونقف عليها بالتحليل والدرس, ومن ثم سعينا لربط تلك المشاعر بشخصية الشاعر وبيان مشاعره الصادقة تجاه وطنه وأمه وحبيبته, وقد توزعت دراستنا لهذه الظاهرة على مبحثين يسبقهما تمهيد استعرضنا فيه حياة الشاعر وشعره, المبحث الأول بعنوان (مفهوم الحنين في اللغة والاصطلاح وتناول الحنين في الشعر العربي القديم والحديث), والمبحث الثاني: (الحنين في شعر جواد الحاج الجبوري), وتوزع على محاور (الحنين إلى الأم, الحنين إلى الحبيبة) تبعتهما خاتمة البحث سجلنا فيها أهم النتائج, ثم تلتها قائمة بالمصادر والمراجع

مشكلة البحث

تتمثل في محاولة الكشف عن كيفية تجلّي مفهوم الحنين في شعر جواد الحاج الجبوري, والوقوف على الصور الفنية والأساليب التعبيرية التي استعملها الشاعر للتعبير عن حبه للوطن ومعاناته وآماله

ويسعى البحث للإجابة عن تساؤلات مثل

1-كيف صوّر الشاعر الحنين في قصائده؟

2- كيف صوّر الشاعر مشاعره تجاه الأم ؟ وكيف صوّر الشاعر مشاعره تجاه الحبيبة؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف منها:

1-التعرف على مفهوم الحنين في شعر جواد الحاج الجبوري .

2-التحليل الموضوعي والفني للصور التي استعملها الشاعر في التعبير عن الوطن .

3-إبراز القيم الوطنية والإنسانية التي ظهرت في شعره .

4-بيان الدور الأدبي في التعبير عن قضايا المجتمع والوطن .

منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج التحليلي , وذلك من خلال جمع النصوص الشعرية للشاعر التي تناولت موضوع الحنين , ثم تحليلها للكشف عن المضامين الوطنية والصور الفنية فيها .

التمهيد: حياته وشعره

ولد شاعرنا الاستاذ جواد عبد محمد فيصل الجبوري في مدينة الأدب والفن والحب الناصرية في عام 1948/7/1 في محل سكناه سابقًا محلة السراي, إذ عاش فيها مرحلة الطفولة والصبا, وأمّا سكنه الحالي محلة الإدارة المحلية, وهو ابن ثالث من البنين والبنات توفي والده الحاج عبد وهو في الثامنة من عمره, تحديداً في عام 1956, فهو لم يعش مع والده كثيرا ولم يرَ حنيناً طويلًا معه لكن ذكراه عالقة في ذهن الشاعر, وتكفلت بتربيته والدته ممَّا جعل لها نصيباً كبيرًا من الشعر نتيجة للمعاناة التي عانتها في تربيته وإخوته وإعالتهم, فغذته المحبة والحنية, وجعلت منه إنساناً ذا عاطفة جياشة وذا صلابة في مواجهة التحديات, دخل الابتدائية في عام 1954- 1955 في مدرسة الفيصلية سابقاً الجمهورية حاليًا حيث تتلمذ على يد أساتذة أكفاء منهم (سيد باقر السيد ظاهر , ناجي عبدالله الشكرجي , كامل هامش , مهدي حطاب وغيرهم), درس الثانوية في الناصرية وتخرج منها عام 1965-1966 وتتلمذ على يد أساتذة منهم (جاسم غفوري , محمد حسن الخباز, فريد قاسم , حسن السنجري), ودرس في معهد إعداد المعلمين في عام 1967 ولغاية عام 1969 حيث تخرج منه معلماً لمادة العلوم , تعين في 1970/3/11 في مدرسة (أبو هاون في ناحية النصر), واستمر سنة ونصف فيها ثم انتقل إلى مدرسة الشرقية في عام 1972, بعدها انتقل إلى مدرسة (1 حزيران) في منطقة الحي العسكري حالياً في عام 1973 واستمر فيها إلى أن أحيل الى التقاعد, تسنم مناصب في مدرسة (1 حزيران) معاون مدير مدرسة في عام 1975, وكان مديرها آنذاك الأستاذ (ربيع عبد الوهاب الطليع), وتسنم مديراً بالوكالة في المدرسة ذاتها 1976 ولغاية عام 1980 , جالس شاعرنا الأدباء والكتاب الشعبيين كل من (ياسين الغزي , حسين المطيري ,حسين جهيد الحافظ), أما من ناحية الأدباء فجالسَ (حسن عبد الغني حمادي , فوزي عبد الله الركابي , جبار مأمون , كريم الغالبي), ومن أصدقائه المقربين جدًا الشاعر (عبد الرزاق شناوه مجدي), وشاعرنا كان من المحبين لوطنه كثيرًا ولمدينته الناصرية, فلم يغادر تلك المدينة ولو لحظة, لكنّه جسّد لنا حنيناً من نوع آخر وهو في بلده, وكان مبدعاً في نقل الحقيقة عن بلده وكل من حوله, تأثر بالوضع الاجتماعي والثقافي للمدينة وما تعانيه من أزمات وحوادث, بدأ كتابة الشعر عن طريق والدته فكانت تحفظ الشعر البدوي عن طريق والدتها غداره مسلم صاحبة مواليد 1880, فكان أثر تلك المرأة على والدته ممّا جعل من الشاعر يهوى الشعر فوالدته من مواليد 1907, نظم الشعر في بداية حياته فكان يكتب شعرًا بسيطًا لم يظهر للعلن لكن في مرحلة الإعدادية في عام 1967 نظم الشعر وكانت بداياته جيدة كان متأثرًا بالشعراء العراقيين محمد مهدي الجواهري, وعبد الرزاق عبد الواحد, ورشيد مجيد السعدي من المقربين للشاعر, فهو واحد من شعراء المدينة وأدبائها الذين امتازوا بجزالة الألفاظ ورقة المعاني وجمال الصور الشعرية وبلاغتها, ويرى أحد الكتاب أنّ الشاعر (كتب الشعر من أجل الشعر والمبادئ السامية التي يؤمن بها, فكثيرًا ما كان بعيداً عن الأضواء ولا يميل للتفاخر رغم أنّه يمتلك إمكانية عالية على نظم الشعر العمودي والفصيح) (عليخ,2025 : 68).

شارك في العديد من المهرجانات الشعرية التي تقيمها الأنشطة المدرسية وشارك في العديد من المهرجانات الأدبية في المحافظة, حاملاً هوية العضوية للاتحاد العام لأدباء العراق, منتمياً للعديد من المنتديات الشعرية والاتحادات الأدبية مثل(مجمع شعراء الفصحى الجامعة العربية), و(اتحاد شعراء العرب), و(الاتحاد العالمي لصفوة الشعراء العرب), صدرت للشاعر العديد من دواوين الشعر العمودي الفصيح عن دور نشر عربية منها: (مناجاة الروح , تراتيل خريف العمر, إبحار في موج هائج, صرخة في محراب الوطن, رحيق القوافي, المجموعة الشعرية الكاملة بجزأين كاملين والجزء الثالث قيد الطباعة, في رحاب القداسة), فضلًا عن نتاجات أخرى في دور الطبع (عليخ,2025 : 68).

وقد حصل الشاعر على شهادة بكالوريوس تربية وعلم نفس/ ذي قار, وحصل على شهادة الدبلوم العالي في الاقتصاد والعلوم السياسية من المعهد العالي للدراسات البريطانية /بيروت / لبنان, وكان الشاعر من المحبين والعاشقين للشعر العباسي وتحديداً شعر المتنبي.

المبحث الأول: مفهوم الحنين في اللغة والاصطلاح

الحنين لغة:

تنحدر كلمة (الحنين) من الفعل الثلاثي الصحيح (حنن) الذي طرأ عليه التضعيف من غير زيادة, فصار (حنَّ), والحنين مصدر دائمًا ما يوصف بالشديد, وهي المشاعر المحتدمة في صدر المحب لاسيما إذا كان بعيداً عمَّن يحب والشوق إليه, ويقالُ: تحن الإبل إذا ما نزعت إلى أوطانها أو أولادها, وجاء في لسان العرب كلمة (الحنّان) وهو اسم من الأسماء الحسنى لله عزّ وجل, يأتي بتشديد النون بمعنى الرحيم, وكما جاء في القرآن الكريم (وحناناً من لدنّا)) أي رحمةً من لدنّا, والحنّانُ الذي يحن إلى الشيء مستمراً في فعله, وجاءت كلمة (الحِنّة), بكسر الحاء وتعني رقةُ القلبِ, وكذلك يأتي بمعنى الحنَان الرحمة والرزق والبركة والهيبة والوقار(ابن منظور, 2009 : 1030). وجاء في القاموس المحيط إنّ الأصل في الحنين هو ترجيح الناقة صوتها أثر ولدها المستحن الذي استحنه الشوق إلى وطنه, فحن حنيناً أي استطرب فهو حانّ(الفيروز ابادي,1986: 630) .

الحنين اصطلاحاً:

لعل كلمة الحنين لا تبتعد كثيراً عن معنى الشوق ومدى الألم الذي يعيشه صاحبه والمعاناة تجاه بعده عن وطنه, والحنين يرضي شغف النفس ويشبع حب الناس لأوطانهم, ولم يقتصر معنى الحنين الى الوطن فقط بل يذهب الى معانٍ عدة منها الحنين إلى العشاق والحنين إلى الأم, وكل إنسان حنون تتجلى فيه سمة الحب والعطف والرحمة.

الحنين في الشعر العربي القديم والحديث:

يعد شعر الحنين من الموضوعات التي تطرق لها الشعراء قديماً وحديثاً وتنماز بالأحاسيس الحزينة والعاطفة الصادقة تجاه الأشياء, فهو شعور خاضه الشاعر قديماً للتعبير عن أحاسيسه ونجد الشعراء في العصر الجاهلي قد تجسدت لديهم هذه المشاعر, فلطالما وقف الشعراء على ديار الأحبة, وقد أطالوا الوقوف وسؤال آثارهم والدخول في أحاديثٍ مع تلك الآثار, وقد عبر الشعراء في ذلك الوقت عن حنينهم وشوقهم وعشقهم عبر وقوفهم على الأطلال سواء أكانت تلك الأطلال زائلة لم يبق إلا آثارها أم كانت عامرةً بأهلها مكتظة بالشوق والعشق كما في قول أمرئ القيس:

عفت الديار فما بها أهلي وَلَوثْ شموسُ بشاشةٍ البَذلِ(ديوان امرئ القيس, 2009: 237)

ويبدو أنَّ هذا الحنين الذي يشعر به الإنسان إلى الديار التي خلت من الأحبة هو الأصل والدافع الأول في نشأة شعر الأطلال والبكاء عليها في الشعر العربي القديم, ويذكر أنَّ بعض الرواة قد تكلموا عن أمرئ القيس وقد سبق الشعراء إلى معان جديدة في الشعر العربي وفنونه كانت طريفة ومبتكرة, فوقف على الدار وحنّ إليها كثيرا في شعره وبكى على الاطلال(عزة حسن, 1986: 6), ويرى الجاحظ في باب الحنين إلى الأوطان أنَّ السبب على جمع نتف من أخبار العرب في حنينها إلى أوطانها , وشوقها إلى تربتها وبلدانها, ووصف في أشعارها توقد النار في أكبادها, أني فاوضت بعض من انتقل من الملوك في ذكر الديار والنزاع إلى الأوطان فكان إذا ذكر التربة والوطن حنَّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها(عزة حسن, 1986: 11)

إذا ما ذكرتُ الثغرَ فاضت مدامعي وأضحى فؤادي نهبةً للهماهمْ

حَنيناً إلى أرضٍ بها اخضرَّ شاربي وحلّتْ بها عنّي عُقود التّمائمِ

وألطفُ قومٍ بالفتىَ أهلُ أرضهِ وأرعاهمُ للمرءِ حتَّى التّقادمِ(الجزائري,1990: 7)

ويرى بعض الفلاسفة في وصف الحنين إلى الأوطان هي : فطرة الرجل معجونة بحب الوطن(الجزائري,1990: 7) . وربما كثر هذا اللون من الشعر في عصر صدر الإسلام حيث جاء عن لسان الكثير من الشعراء مشاعر الحنين الى الأوطان والأهل بعد فتوحات الإسلام لبيئات مكانية جديدة ونشر الإسلام في تلك الأوطان البعيدة عن الوطن الأم الأمر الذي دفع هؤلاء الشعراء إلى أن يجسدوا تلك المشاعر بعد أن تكبدوا مشقة فقد الأهل والأحبة والابتعاد عنهم, ولعل هذا السبب أدى إلى بزوغ شعر الحنين

في تلك الفترة وانتشاره على لسان الشعراء مجسدين عبر أشعارهم بعدهم عن أوطانهم وأحبتهم والحياة التي خلفوها في تلك الأوطان, ولعل الشعر الذي يعبر عن أشواق الشاعر نتيجة البعد عن وطنه(القاضي, 1965: 255) كانت رغبة منه تملأ جوانبه وتعبر عن المواجع التي كانت تؤذي روحه قبل بدنه, فهو إذا ما ذكر أرضه يشم ترابها وكأنه عود مسك أو عنبر:

أحنُّ إلى نجدٍ وإني لأيسٌ طوال الليالي من قفولٍ إلى نجد

وإن يكُ لا ليلى ولا نجدُ فاعترفْ بهجرٍ إلى يوم القيامة والوعد(ديوان قيس بن الملوح, 1999: 78)

فالنص يخبرنا إخباراً واضحاً أنّ الشاعر حينما ينظر ناحية نجد وهي أرض مهدهِ وشبابه على الرغم من أنّه لا يرى أي شيء ولكنه ينظر حنيناً اليها وإلى ترابها فقد شبَّه أرض الوطن وترابه عند المطر بالمسك والعنبر وكل ما هو جميل فيها(ديوان قيس بن الملوح, 1999 : 78), ونجد أنَّ هذا النوع من الشعر قد بدا واضحاً ومتضخماً في الشعر الأندلسي حيث كان لهذا الشعر الحظ الأوفر قياساً إلى فنون الشعر الأخرى؛ وذلك لأنّ تجربة العرب في الأندلس تشابهت إلى حدٍ ما مع تجربة المسلمين في البلدان المفتوحة, فكان الناتج من الشعر متشابهاً يحمل تلك العواطف والأحاسيس إلى البلد الأول, ويمكننا القول إنَّ تجربة البعد عن الوطن إذا ما دعت الظروف إلى ذلك تدعو المبدعين سواء أكانوا من الشعراء أو من غيرهم يجسدون أشواقهم وحنينهم إلى أوطانهم إذ (لا يخلو أدب أمة من الأمم من شعر أو نثر يعبر فيه المبدع عن أشواقه إلى الوطن وحنينه إليه , وارتباطه به وبمن فيه , كلما اضطرته الظروف إلى مغادرة الوطن مغادرة مؤقتة أو طويلة , أو دائمة) (الداية,2001 :131), وما جاء في الشعر الأندلسي في هذا الغرض حيث يجسد تلك المشاعر ولهفة اللقاء نظراً لما لهذه البيئة من مقومات تجعلها تختلف عن غيرها من جانب ظروف الأندلس بوصفها كانت في حال استنفار متواصل(الداية,2001 :131) وكغيره من الشعراء كان الشاعر الأندلسي إذا ما ابتعد عن مدينته أو بلدته الذي يكون بمثابة وطنه الصغير يجسد تلك المشاعر متغنياً بمدينته التي فارقها طوعاً أو كرهاً لذلك نجد تلك المشاعر متجسدة بنصوص الشعراء إذا ما اضطروا إلى الابتعاد عن منازلهم, ولعل ابن زيدون يعد مثالاً حياً لتلك التجربة حيث يقول:

أقرطبة الغراء هل فيك مطمع ؟

وهل كبِدٌ حَرّى لبينكَ تُنقعُ ؟

وهل لليالِيكِ الحميدة مرجعٌ؟

إذ الحسنُ فيك واللهو مسمعُ وإذ كنفُ الدنيا لديكِ مُوطّأُ(ديوان ابن زيدون,1994 :198)

فالنص يضج بمشاعر الحنين الصادقة التي تربطه بمدينته البعيدة عنه فحنينه إلى تلك الليالي الجميلة التي مازالت عالقة في اذهانه هل من رجوع ؟ يخاطبها وفي داخله لوعة وحرقة , ولعله يجد في مدينته البعيدة كل سبل العيش الحسن واللهو والعيش فيها بسلام وسكينة , حيث يصبح كل شيء سهل وممهد, فلا معاناة فيها وهذا كله يدل على الطمأنينة وراحة البال والعيش في كنفها وظلها بعيداً عن ضيق الحياة ومتاعبها.

ففي العصر العباسي تطور هذا النوع من الشعر بعد أن تطورت المدنية في هذا العصر الامر الذي جعل من هذا الشعر تجربة وجدانية ولحظة حزينة يستشعرها الشاعر بعدما يعرض لتجربة الحرمان والفقد (أن بكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة, ولا تجربة وجدانية ذاتية بل لحظة حزينة أملاها على الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي إليها بالحرمان من الوطن المكاني, وبالحنين إلى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتا, يخلد فيه ذكرياته ويسترجع صباه وهو في الواقع لا يواجه ذكرى حبه فحسب, وإنما كانت تتداعى في ذاكرته صور شبابه الذاهب وهذان الدافعان يكفيان لخلق عاطفة تثير في نفسه جواً مناسباً يحمله على الحنين(القيسي,1998 : 254), ومن الشعراء الذين اشتهروا بهذا النوع من الشعر الشاعر أبو فراس الحمداني, حيث كانت رومياتهِ صورة واضحة وناطقة لأشواقه وحنينه إلى الوطن والأهل والأحبة بعد أن تعرض لتجربة الأسر إذ يقول :

لأياكمُ أذْكُرُ ؟ وفي أيّكمْ أفكرُ؟

وكمْ لي على بلدتي بماءٌ ومُستعبرُ

ففي حلبٍ عُدّتي وعِزّي والمفخرُ(الدويهي, 1994 : 166)

وتعد هذه القصائد التي قالها الشاعر في بلاد الروم شاهداً حيوياً يطرح صاحبها حنينه وأشواقه إلى أهله وأحبته وتحكي تجربته الصادقة تجاه من يحب ومن هنا كانت هذه القصائد تحاكي مشاعر النفس وتستنطقها وتعد أصدق ما قيل لتلك التجارب, ولم تكن تلك الأحاسيس والعواطف قد افتعلت, بل كان يملأها الألم والحرقة الصادقة, الأمر الذي يندر تواجد تلك المشاعر عند غيره من الشعراء, وذلك لصدق التجربة وفرادتها.

وفي الشعر العربي الحديث تصدر موضوع الحنين إلى الوطن موضوعات الشعر وهمومه؛ وذلك لأنّ أغلب من خاضوا في هذا الموضوع قد تعرضوا لتجربة الحرمان القسري في الابتعاد عن الوطن والحرمان ممن يحب, فالوطن ببعديه التاريخي والحضاري يجسد الانتماء الحقيقي والحاضنة التي تحتضن أبنائها وإذا ما انتزع منها الشاعر عنوةً يغدو غريباً مشرداً يتوق إلى الرجوع إلى وطنه والتقائه بأحبته, ومن هنا تصدرت موضوعة الحنين إلى الوطن والعودة المأمولة له أغلب قصائد الشعراء الذين ابتعدوا قسراً عن أوطانهم, فالوطن يمثل لهم تاريخ وذكريات تداعب اخيلتهم ازدادت رسوخاً وعمقاً في وجدانهم , فالشعراء الذي عاشوا في بلدان غير بلدانهم قد تغنوا بأوطانهم مدفوعين بالحنين والشوق فإن الجواهري حمل معه أزمة الوطن, واحتفظ بالتراكمات النفسية(اليحيى, 2001 : 261), والمطلع على تجربة الجواهري وغربته عن الوطن يجد أنّه ممّن عانى تجربة الاغتراب والحنين إلى وطنه مجسداً في شعره الأبعاد النفسية والاجتماعية, ولهذا تتحول المسافة بين الوطن وما عاشه من فراق خارج بلده ساحة من الصراعات عبر الذاكرة والمعايشة الحارة لوطنه, فنجد في قصيدة (دجلة الخير) مثالًا رائعًا ورسالة واضحة لحبه للوطن حيث كان يعيش العزلة واليأس وانقطاع الامل بينه وبين مجتمعه ,وفقد الانتماء هو فقد الشعور بالأمن(اليحيى, 2001 : 261) إذ يقول:

حَيَّيت سفحكِ عن بُعدٍ فحَيِيَّني يا دجلةَ الخيَر يا أُمَّ البساتين

يا دجلةَ الخير يا نبعاً أفارقُهُ على الكراهِة بين الحين والحين

يا دجلةَ الخير لم نصحب لمسكنةٍ لكن لنلمِس اوجاعَ المساكين

يا دجلةَ الخير شكوى أمرها عجبٌ إنَّ الذي كنتُ أشكو منه يشكوني(ناظم وآخرون, 2021: 11)

ولعلَّ تكرار مفردة النداء إلى دجلة بوصفها رمزاً لبغداد والعراق على نحو العموم دلالة موحية بمشاعر الحرمان والابتعاد عن الوطن وافتقادهم, فيناديه عن بعدٍ ليشكو إليه ذلك البعد الذي يثير في نفسه مشاعر الحنين الذي تم عن كرهٍ وقسرٍ, الأمر الذي استدعاه أن يؤخِّر صدر البيت (يا دجلة الخير), ويقدّم عجزه دلالة على حرارة تلك الأشواق وصدقها مستذكراً أوجاعه وغربته عن وطنه التي شابهت أوجاع المساكين ممن كان مثله.

المبحث الثاني: الحنين عند جواد الحاج الجبوري

يعد الشاعر جواد الحاج الجبوري ممن عرفوا بهذا النوع من الشعر, ولعلَّ الدارس أو المتأمل لشعر هذا الشاعر يجد موضوعة الحنين ومشاعر الفراق والبعد من الموضوعات القارة والحاضرة في شعره إذ لا تجد قصيدة إلا وتجسَّدت فيها تلك المشاعر التي انقسمت ما بين حبه إلى وطنه أو أحبته وربما طالت تلك المشاعر مراقد أهل البيت ع ومشاهدهم ناسجاً تلك الموضوعات على معظم بحور الشعر, يفيض منها صدق الإحساس وحرارة العاطفة وتأججها ويتجلى فيها الشوق ولوعة الفراق وحزنه على وطنه واضعاً يده على أبرز ما أصيب به الوطن من آفات اجتماعية وسياسية وعقائدية تقتضي التعايش غير السلمي بين مكوناته, فراح يستنهض أبناء شعبه ويحثهم على التراحم ويبث فيهم التعايش السلمي, ففي قصيدة (حنين الأرض) يقول:

فقدت أهلي وإخواني وأكبادي

حتى غدا في ابتهاج كلُ حسادي

وألبستني لباس الحزن نائبةٌ

لتستمر غلى أولاد أحفادي

عطشى بلادي ومائي صار منتهكاً

تراه يروّي لذي بُغضٍ وأحقادِ

وقد غدوت بليل الحزن متشحاً

والعمر يُسرقُ في قتلٍ وإبعادِ

جوانحي في مآسي الهم مثقلةٌ

والعمر منتقصٌ يحدو به الحادي(الجبوري,2022 : 207)

فالنص يخبرنا على نحو الوضوح موضوعة الفقد للأهل والأحباب والأكباد ترافقه مشاعر الحسد والضغينة للحاقدين وابتهاجهم وفرحهم لتلك المصيبة التي أصابت الشاعر وما حصل له من مآسي ومتاعب في حياته, فلعل ظاهرة الحزن واليأس قد نشرت بردائها على النص حتى اسودَّ النص بتلك السوداوية المفرطة وكأنَّ النص تأبين لأولاده وأحفاده, الأمر الذي جعل من ذلك النص مكمن للوعة والمرارة, إذ جعل من الليل لباساً يتشح به, ففقد الأهل والإخوان والأكباد وابتهاج الحساد ألبسته ذلك اللباس, ولعل من فرط حزن الشاعر سير تلك المصيبة إلى أولاد الأحفاد, الأمر الذي ذكره بعطش بلاده ومائها الذي صار منتهكاً لا يروي إلا البغض والأحقاد, ويستمر في نشر مأساته حتى وإن شارف العمر على الانتهاء واضعاً تلك المشاعر في ألفاظها الموحية وإن كانت واضحة إلا أنّها توحي بإيحائية الفقد والحرمان وتستنطق وطناً عانى من المتاعب والاضطهادات, ولعل (الأشياء التي فطرت النفوس على استلذاذها , أو التألم منها أو ما وجد فيه الحالان اللذة والالم كالذكريات للعهود المنصرمة)(القرطاجني, 1981: 21) فالنص يخبرنا عن ما أضاع الشاعر من عمرٍ تسرب من بين يديه وهو لا يعرف ومن وطنٍ يحنُ إليه وهو يعيش فيه وكأنه بعيداً عنه أو أقصي منه, وكغيره من الشعراء نجده متأثراً بعوامل أدت إلى شيوع ظاهرة الحزن فإحساس الشاعر بمحنة الذات والوطن التي تأسست على مشاعر الضياع والتمزق(جدي, 2022 :139) كانت من سمات القصيدة العربية على نحو عام, وفي الفترة التي استعرت فيها الحرب الطائفية في البلاد نجد أنَّ مفردات الفقد والحرمان قد توسعت فصار الحنين لزاماً لتلك التفاصيل الدقيقة في حياة الشاعر.

ريحُ العداوة هبّت في ربى وطني

وحلم سعدي تولى والأسى بادي

كلٌّ تولى وباتَ الشعر منتجعاً

أفضي إليه بأوجاعي وإسهادي

لسنبل القمح للقداح في بلدي

لباسقاتٍ نخيلٍ لحنُ إنشادي

مرابع الأرض في شدوٍ تغازلني

فيهتف القلب مهلاً أيها الشادي

ما زلت أذكر لحناً في مرابعنا

لحن الطفولة في زهوٍ وإسعادِ

وحب أرضي بوسط القلب أغنية

حفظتها في سموٍ منذ أجدادي(الجبوري,2022: 209)

حينما يصبح الشعر ملاذاً ومآبًا معادلاً لذلك الوطن الذي ما عاد التعايش السلمي ينمو في رباه حيث تتخبر الآمال وتسود الأمنيات ويصبح الوطن بعيداً بمفرداته الجميلة فلم تعد رائحة القداح لسنبل القمح, وتعزف مروج الأرض عن شدو غزلها حتى

وإن كانت لحناً يأتي من بعيدٍ في مرابعنا يشدو بلحن الطفولة وأيام الصبا يبقى حب الوطن أغنية تجمع كل من يعيش فيه أغنية رافقت الطفولة ومرابع الصبا, فالنص في رقة مفرداته ولطافة اختياراته ناسب موضوع الوجع والحنين للعيش في وطنٍ يملؤه الحب والوفاء مادام يذكر أنَّ لحناً يردد في تلك المرابع يغني لحن الطفولة ويشير إلى حب الأرض في القلب كأنَّه أغنية, ولعلَّ ذكر النص لمفردات ذلك الوطن, كالقمح والقداح والنخيل, قد أشعل حرقة ذلك الحنين إلى تلك الأيام الخوالي ومشيراً إلى رموز ذلك الوطن متغنياً بطبيعته الجميلة التي تعد رمزاً للوفاق والسلام(الداية, 2001: 114), وكغيره من الشعراء يتعلق الشاعر ببيئته وتفاصيلها جاعلاً من تلك التفاصيل رموزاً معادلة لحنينه لوطنه والاشتياق له على الرغم من قربه منه, وتلك السمة وهي الوقوف على التفاصيل الصغيرة لجغرافية الوطن إحدى سمات الشعر في الشعر العربي الحديث(الداية, 2001: 258), والمتمعن في الشاعر وما عاناه من ألم على بلده يجد تثير مشاعر الأسى والاشتياق والتأثر بهذا النوع من الشعر الصادر عن الشعور الجميل والإحساس العميق, ونجده أيضاً في قصيدة أخرى يصور لنا حنينه وشوقه إلى وطنه واصفاً معظم تفاصيله الحزينة واقفاً على خيراته الكثيرة في قصيدة (وطني يا أرمد العينين) حيث يقول:

وطني يا أرمد العينين

يا عشقي الكبير

أصبح الجاهل كحّالاً

وأمسيت البصير

عارياً تحمل في جنبيك

أقمشة الحرير

جائعًا في أرضك الزيتون

والقمح الوفير

والفراتين هما سرُ خلودٍ

مستنيرْ

ماؤها ينساب في أرضك

رقراقاً غرير

وطني يا نخله يا شاطئيهِ

المتخمات بكل خير(الجبوري,2022: 122)

يقدم النص وطناً أرمد العينين يشقى فيه العاقل ويسعد فيه الجاهل, والشريف عارٍ وأقمشة الحرير تنسج بستر عورات اللصوص, فالنص يقدّم مجموعة من المفارقات لبيان هول المأساة التي حلت بالوطن, فالجاهل كحّال, والبصير عارٍ, والزيتون فيه جائع, فضلاً عن القمح الوفير مع وجود الفراتين اللذين ماؤهما رقراق, فكلُّ شيء في الوطن أخضر ويابس في الوقت نفسه, ولعلَّ النداء الذي استثمره الشاعر في وطنه أرمد العينين و يا عشقي الكبير, جعل من ذلك الوطن بصيراً عالماً بما يحصل في رباه, وقد طرح الشاعر همومه ومآسيه تلك الأيام وقسوتها مؤطراً ذلك النداء رقةً وحرارة عندما أصرَّ على أن ينتسب إلى ذلك الوطن واصفاً إياه بالعشق الكبير, وتفيض من ألفاظه الرقة واشتعال العاطفة التي توحي بعشقه البليغ لوطنه وما حدث له, ولعلَّ هذا الحب الناتج عن عاطفة جياشة تكاد تكون قد غلبت العقل, ومثل هذه العواطف نجدها في النتاج الرومانسي الذي يرى عاطفة الحب نبلاً وسمواً هي طريق من طرق العبادة لله أو الطبيعة وربما جعلت منه ديناً(عثمان,2017: 62) كغيره من الأديان, ولعلَّ حرص النص على التأثير في المتلقي نابع من رؤية تعد الشعر من طبع الشاعر وملكته, وإن يؤاتيه البيان فيعينه في الإفصاح عن إحساسه وخواطره,

فلا نرى المتلقي يجهد نفسه ويتعسف في طلب ما يريده من معاني, ولا يطلب منها ما تعطيه بقهر وعنف(ابراهيم, 2004 : 156) وكلّ معنى لا يؤثر في نفس القارئ ولا يستطيع إثارتها يوصف بأنَّه معنًى بارد(علاونة, 2003: 112) .

وفي قصيدة (صباح الخير يا وطني) حيث النص ينسابُ شفافاً رقيقاً إلى ذات المتلقي حيث نجد أنَّ الحنين إلى الوطن قد يتحول إلى نوع من العشق الأبدي والأزلي له والارتباط الدائم به, وهذا الطرح يقدم بألفاظه الملائمة له حيث لا تكلف ولا تعقيد وكأنه أغنية شفافة حاملة لمشاعر الانتماء والاستمتاع به:

صباح الخير يا وطني

أيا صرحاً سمت أركانه عبقاً

أيا عزّاً أيا أملاً

و يا داراً بها أمسي

ودفء جلّهُ أنسي

و يا نجماً تلألأ في السما ألقاً

فأنت الصرحُ تأوينا

وبدرٌ في لياليا

ودرعٌ أنت تحمينا

وقلبي فيك يا وطني لقد عُلقا(الجبوري,2022: 287)

وانسجاماً مع الحالة الشعورية بدأت الأبيات تردد النداءات لأوصاف ذلك الوطن وما انماز به, فهو الصرح وهو العز والأمل وهو الدار والدفء والنجم الذي يتلألأ في السماء والبدر المنير في الليالي الظلماء والدرع الحامي, ونحن نستعرض تلك الألفاظ نشعر في الوهلة الأولى بحرص النص على تلك التراكيب للدخول إلى ذات المتلقي والتأثير في دواخله محدثاً ذلك الخلل في إثارة المشاعر الصادقة تجاه الوطن, ويمكننا ملاحظة تلك العلاقة الوجودية التي يقدمها النص موحيًا بالترابط الأزلي بين المنشئ ووطنه عبر ذلك الاستغراق في وصف الوطن وسيطرة مفردات الوصف في النص وثقلها الذي هيمن وجدانياً على النص بأكمله حاملاً تلك العواطف والمشاعر الشخصية(نمر, 1984: 152), وربما كانت هذه المشاعر تمنح الذات الشعور باللذة والمتعة والحب(احمد وعبد الله , 2021 : 410) معاً, فالإنسان محب لبيئته ووطنه وهو متمسك بهذا الحب بوطن يحنُ إليه ويدافع عنه ويبذل في سبيله كل غال ورخيص(حُوَّر, 1973: 18), ولعلَّ هذه المشاعر هي ما يتمتع به كل الناس تجاه اوطانهم لاسيما تلك التي تربوا فيها وعاشوا ردحاً من الزمن فيجدون في التخلي عنها امراً صعباً بل هو من المستحيل.

الحنين إلى الأهل والاحبة

أولاً: الحنين إلى الأم

يجد الدارس للشعر العربي قديماً وحديثاً والمعاصر مضموناً شعرياًَ يأتي تحت عنوان الحنين إلى الأوطان ومن يعمرها وهذا النوع من الشعر يأتي نتاجاً للشعراء الذين اختاروا أوطان المنفى قسراً لأسباب سياسية واقتصادية واجتماعية وكان لا بد لهم من أن يحن إلى بلادهم التي انتزعوا منها انتزاعاً متذكرين شوارعها وبيوتها وساحاتها يحنون إلى أهلهم وذويه وكل شيء فيها ,ذاكرين في أشعارهم ما لحق بهم من حيفٍ وبطشٍ آملين أن يعودوا لها يوماً وقد رفع هذا الحيف عنهم وعن بلادهم, ولعل هذا النوع من الشعر غالبًا ما يأتي مرافقاً لتلك التجربة المريرة وهي البعد عن الأوطان والأحبة, وقد نجد منفًى آخر وغربة أخرى وهي الغربة داخل الوطن وحنيناً إلى الأهل والأحبة تؤطره عاطفة الشوق والإحساس بالفقد وإن لم يكن هذا الشعر يأتي عن تجربة البعد الحقيقية, ولعل شاعرنا الذي نجد عنده حنيناً آخر إلى الأهل والأحبة يندرج تحت هذا النوع من الشعراء فهو يحنُ إلى أهله

وأحبته وإن لم يفارقهم أبداً, فهو يختلف عمَّن جايلهم من الشعراء, فنراه يحن حنيناً مفعماً بالذكريات الجميلة حينما يستذكر أمَّه في ذكراها يقول في قصيدة (ذكراك يا أمي:(

ذكْراكِ أغلى مِن سواد عُيوني

هل مَنْ سبيلٍ كي تَزول شُجوني

يا ليت قلبي عَنْك يوماً غافل

فأنام مرتاحاً بملء جفوني

أنا كلما أبصرت أمّاً في الورى

كالطفلِ يجري الدَمع ملء عيوني

كالنّجمِ بعدكِ لاحَ في أفق السماء

وجنون حبُ الخلق بعضُ جنوني

يا ويح قلبي هَلْ لوَصْلكِ يرتَجي

أم ذاك حِلمٌ لمْ تنلهُ ظنوني

موسوعة في العلمِ منك واستقي

عِلْمي وأخلاقي بطول سنيني

يا أمي هل يبقى اشتياقي هكذا

شوقي إليك مُجَلْجلٌ يُضنيني(الجبوري,2022: 60-61).

يخلقُ النص فضاءً مكتظاً بمشاعر الفقدِ والحرمانِ ومشحوناً بتجربةٍ مريرةٍ يُؤطرها ذلك القنوط وعدم اللقاء, فالنص يستذكرُ صوراً للمفقودة وهي (الأم), وقد قارنها الشاعر ليس بسواد عيونه ولكنها أغلى من ذلك متسائلاً عن السبيل الذي يخرجه من أحزانه وشجونه متمنياً لو لم يكن ذلك الحزن يملأ قلبه فينام مرتاح الجفون وإذا ما أبصر أمَّاً فهو كالطفل باكياً مستذكراً رفقتها الجميلة ضارباً مثلا في وصال أمِّه وقربها بالنجم الذي لاح في السماء, وبالوصل الذي لا يرتجى, وبالحلم الذي لا يتحقق, فالنص تتجلى فيه السمات الطبيعية والمركزية المباشرة والتلقائية والكلام المتداول حيث لم يُبنَ النص على خاصية الغموض وكسر البُنية فيجبر كسرها بالتأويل والقراءات المتعددة, فالنص واضح مبني بلغة شعرية واضحة تتواءم مع موضوعها, فالشعر وفق هذه النظرة ينبغي أن يكون مباشراً يقترب من المتداول والعامي, والنص في حزنه ومشاعر اللوعة التي يفرزها لا يختلف كثيراً عن نصوص الرومانسيين أو الرومانتيكيين الذين دائما ما يستحضرون من رحلوا عنهم بسبب الفناء كلما ذاقت بهم الحياة, فالموت لهم معادل لكل حرمان وجور يدفهم للانتقام من الدهر ومن حوادثه لاسيما إذا ما خطف منهم عزيزاً كالأم والانقطاع عن حنانها(عوض , 1974: 81), وربما تحول هذا الحنين إلى نوع من العشق الصوفي الأزلي, فقصيدة (الشوق لأمي), قد جسدت تلك العلاقة الممتزجة بين روحين:

ولو أعيشُ لِقرنٍ في الحياة فلا

أنسى عبيراً لِحضنِ الأمِ يُحذيني

لا فرق بين صغير العمر أو هرمٍ

ففقدها بزغافِ الكأس يُسقيني

شوقي لأمي مُد في رحمها عَلقٌ

ومُذْ حبوت وحتى الموت ينهيني

مهما مضت من سنينٍ حُبُها عَرِمٌ

أراهُ غُضّاَ بعمق الروح يضنيني

سِيّان إنْ أكُ في العشرين في ألقٍ

أو إنْ مضيتُ لسبعينٍ لتؤذيني(الجبوري,2022: 92).

يقدم لنا النص محاورة تبديها الأنا الشاعرة بادياً خطابه ب(لو) الممتنعة الحصول زاعماً مدَ حياته لقرنٍ من الزمان أنه لن ينسى حضن أمه الذي يحيه مستدركاً أنه لا فرق بين صغير العمر أو كبيره يسعى لهذا الطلب وإن دائماً ما يورقه فقدها الذي تحول إلى شوقٍ منذ أن كان في رحمها علق وحتى صيرورته رجلاً يسعى, فلا يقف الموت حاجزاً عن ذلك الشوق مهما مضت السنين والأيام, ويرى ذلك الحب غضاً يعبق الروح ووجعه, فسيان عنده العمر في ألق العشرين أو في السبعين, فالنص في ألفاظه البسيطة والواضحة يقدم لنا أمنية الذات الشاعرة يتجلى فيها ذلك الحب الصوفي الذي يكشف فيها القلب عن تجربة خاصة تجسدت عبر ذلك التلاحم الأبدي بين الأم ووليدها, فالذات الشاعرة وهي تتكلم عن تلك العلاقة اختارت منظومة من الأسماء والأفعال التي تراوحت بين الماضي والمضارع لتشير إلى زمنين مختلفين ثم مجموعة من الأسماء التي أدامت هذا الحب وعملت على إرساءه في النص مؤرخة لمحطة من محطات الشاعر العزيزة على قلبه ولعلها من المحطات(العرود, 2008: 14) البارزة التي ينبغي له أن يقف عندها, ولعلها اللحظة التي جاءت بذلك البوح الشعري إذ تفيق عواطفه ومشاعر الشوق(جاسم, 2007 : 10) كلما ذكر تلك اللحظات لاسيما لحظات طفولته الرغيدة التي امتدت لسنوات طويلة مع والدته بل امتد شوقه وحنينه مذ أن كان في رحم أمّه مستعرضاً في النص مراحل حياته بدءًا من تلك اللحظة إلى كهولته.

ثانياً: الحنين إلى الحبيبة

يتصدر في نصوص الشاعر جواد الحاج الجبوري مستوى آخر من الحنين ورافد من روافد شوقه وآلامه وهو شوقه إلى حبيبته, ولعلّ المطلع على تلك النصوص يجدها تفيض من تلك المشاعر, فهو لا يختلف كثيراً عن الشعراء قديماً وهم ينزفون خلجات مشاعرهم تجاه الحبيبة والوقوف على ديارها والتغزل بها ومحاورة تلك الديار ومناشدتها عن اخبار الاحبة ومن رحلوا , فالنصوص التي تفيض بتلك المشاعر وتضج بعواطف الحنين لا تختلف كثيراً عن من غادر بلاده مستذكراً أبنيتها وشوارعها ومن سكن فيها من الأحبة فمتى ما توفرت الإثارة وإيقاظ النفس وانعاشها , وأحيت قلب المتلقي فأصبح النص يفيض بتلك العاطفة متوجهاً إلى قلب المتلقي عنوةً متخذاً تعبيراً أدبياً أخَّاذًا (الشايب, 1994 : 193), فالعاطفة والصدق ظاهرتان لازمتا نصوص الشاعر, وقد توجهت تجاه الحبيبة, وهيمنت على نصوصه الشعرية, فأخذت حيزاً كبيراً من شعره, فالشاعر عندما يستذكر حبيبته يحنُ إليها وكأنَّه في بلادٍ أخرى غير بلاده, يقول في قصيدته (حبيبتي مجد:(

ألهمتني الشِعر والأشواق طاغيةً

والعشق عَلِمتني إياه مُذ صِغري

منذُ التقيتك أشواقي تُؤرقُني

وعند لقياكِ زاد الشوق بالنظر

نمضي نغازل أحلاماً موردةً

وننشدُ الشعرَ بين النخل والشجر

أبثُ حُبي أشكوهُ على شجَنٍ

فتنثرين عليهِ الورد في السحر

نعانق الحب في صدقٍ وفي شَمَمٍ

ما لوّثَ الحب فينا أيّ مقتدر

عانيتُ بعدكِ جُرحاً ملؤهُ ألمٌ

فباتَ يؤلمني في النوم والسهر

إنّا بلغنا من الستين نيّفها

لا تبخلين بوصلٍ فاتقي ضرري

يا مجدُ يا مجدُ هل عَودٌ إلى زمنٍ

لنَرْشِف الحبَ في صفوٍ وفي بطرٍ(الجبوري , 2022: 63)

يفصح النص عن تلك العلاقة بين الحبيبة والشعر لاسيما إذا ما كانت الأنثى في خارطة هذا الشعر هي الملهمة ومبعث الأشواق, بل هي من علمت المنتج تلك الأشواق ولأنَّ مشاعر تلك العلاقة لا تتوقف عند حدود الإلهام ومصادر الأشواق بل امتد تأثيرها إلى المبادرة بالمثل في الغزل فكلاهما المنتج والحبيبة ينشدان شعراً وكلَّما ثار حباً ثارت عواطفه تثير الورد بالسحر, إنَّ شعرية هذا النص تتجلى في تلك العلاقة الحميمية بين المحب ومعشوقته, (وتنضح دائمًا بمصيرها الإيروتيكي المعبر عن شخصيتها ورؤيتها وقوة حضورها وطريقتها في التعبير عن ذاتها الجمالية)(عبيد, 2014 :99) فالنص في أدواته الأدائية لا يختلف كثيراً عن مناهج الشعراء في نصوصهم الرومانسية, فكثيراً ما تجد في تلك النصوص المصبوغة بتلك الأنوثة التي تفيض في النص إلهاماً وشعراً ومحركاً لتلك العواطف الجياشة, ولعلَّ كثرة الأفعال في النص (ألهمتني – علمتني – التقيتك- زاد- نمضي –ننشد –أبث –تثيرين- نعانق) لم تعطِ تلك الحركة الزمنية للنص على الرغم من كثرة انتشارها في مساحة النص على وجه العموم, فما زال النص انشادياً موجهاً اقرب إلى خطاب التأبين والذكرى وبالرغم من أن تلك الألفاظ خرجت من معطف الحقل الرومانسي إلا أنَّها لم تكن لتسمو بالنص سمو العشق الرومانسي المتعارف عليه, فالنص لم يستطيع أن يصل إلى عمق العاطفة وقوة الشعور فيبث ذلك في أدواته الأسلوبية مؤثراً في متلقيه تأثيرًا تلقائياً لا مصطنعاً(الشايب, 1994 : 195).

وتقترب نصوص جواد الحاج الجبوري في موضوع الغزل من نصوص الشعراء العذريين, وغالباً ما نجده في تلك النصوص مبتعدًا عمَّا يشوه ذلك الحب ويدنسه حرصاً من الشاعر على المشاعر الصادقة والعواطف النبيلة, وفي قصيدته لسلمى وهو اسم مستعار بحيث أنَّ هذا الاسم حضر لأكثر من معشوقة له في قصائده وكأنها رمز للأنثى المستعار اسمها لأغلب قصائده في العشق مبتعداً في نصوصه عن تلك التفاصيل الدقيقة في جسد المعشوق والتغزل به من الرأس إلى أخمص القدمين(ابراهيم, 2025: 73) طالباً في نصوصه حنيناً من نوع آخر ومؤسساً له وهو الاشتياق في لحظات حياته إلى تلك المعشوقة ففي قصيدته (أشواق قلبي) يقول:

لكِ القلبُ يا سلمى يهيمُ فأصطبرُ

وتبكي لكِ العينان شوقاً فأعتذر

وارسل حبي في النسيم قوافياً

لتشكو لها الأشواق والدمعُ ينهمرْ

فتحرقُ انفاسي فُؤادي بنارها

لهيب بها يسري بقلبي ويستعرْ

يراودني حِلمٌ بأن الق طيفها

لعل به روحي تهيد وتزدهر

لقد افسد الهجران نشوة حبّنا

فصار بريقُ العين دمعاً وينفجرْ(الجبوري, 2022: 21)

يكشف النص عن تلك العلاقة المحورية الدائرة بين المحب ومعشوقتهِ ويجسد مشاعر الارتباط الروحي بين القلب ومن يهيم بها, فالنص مشحونٌ على نحو الكثافة في المشاعر مبيناً على ما تبدي الحواس من تحمل لتلك المشاعر, فالقلب والعينان والدمع واحتراق الأنفاس والفؤاد تحضر بقوة في فضاء النص لتشير إلى تلك المشاعر الملتهبة وتأجج العاطفة مستعيناً بالحلم الذي ربما يكون فاتحة أمل للقيا تلك الحبيبة والتزود من حبها, فالهجران قد عمل عمله لإفساد ذلك الحب وإطفاءه, ومن نتائج ذلك الحنين هو الاصطبار وذرف الدموع وإرسال تلك المشاعر قوافي, فالنص في انتقاء تلك الألفاظ التي ينبعث منها مشاعر العشق والحنين وفقدان الحبيبة تقربه من تلك النصوص الغزلية الخالصة التي تفيض عشقاً وحنيناً وإذا ما أفرزنا مفردات ذلك النص, فالقلب والهيام والاصطبار وبكاء العينين شوقاً والاعتذار والرسائل التي يبعثها في النسيم قوافي وشكوى المحب والدمع المنهمر من عينيه التي طالما حرقت فؤاده بنار الحب ولهيبه الذي يسري بقلب المحب ويستعر بأمنية اللقاء يوحي بأنَّ النص قطعة هاربة من تلك النصوص الغزلية العذرية, فالنص عندما يطرح تجربة الحب المريرة ترجمةً للأحاسيس والمشاعر للطرف الآخر وهو شعورٌ فطري يأتي به المحب تجاه من يحب في موقف شعوري صادق تغذيه تجربة الحب بذلك الألم(عويض, 2015: 122).

نتائج البحث:

توصلت الدراسة إلى نتائج ندرج أبرزها منها ما هو متعلق بالشاعر وحياته ومنها ما هو متعلق بشعره :

1-يعد الشاعر جواد الحاج الجبوري من الشعراء المعاصرين الذين على الرغم من وجود تيارات الحداثة التي احتلت الساحة الأدبية إلّا أنّ الشاعر كان حريصاً على أن يكتب شعره وفق الطريقة التقليدية متخذاً من وحدة البحر والقافية سمة لشعره فهو يكتب القصيدة وفق متطلبات العمود الشعري المتعارف عليه وان كان في بعض الأحيان يكتب الشعر وفق الاشطر الشعرية.

2-مازال الشاعر يرزح تحت تأثير التيار الرومانسي الاشراقي فهو حريصٌ على أن تكون قصائده الغزلية بعيدة عن الجانب الحسي لا ينخرط في الوصف المادي والجسدي للمرأة ,فدائما ما يلتزم بمبادئ قيمية وصوفية مستعيناً بذلك بألفاظه الشفافة والتلألأ غير المبتذل في وصف المعشوقة والحبيبة.

3-كتب الشاعر في مواضيع متعددة أبرزها في مشاعر الحب والحنين إلى الوطن وإن لم يكن مبتعداً عنها قسراً ولعل من يطلع على قصائده متمثلة بتلك المشاعر يجدها أنها لا تختلف عن من اشتاق إلى وطنه وهو على بعد.

4-يصطبغ نتاجه الشعري بتلك السوداوية المفرطة أحياناً لاسيما في نصوصه التي خرجت بتناول موضوع الموت وما فعله بأهله وأحبته وتأتي على رأس هذه الأحبة (أمّه) التي كان رحيلها رضة نفسية لم يفق من تأثيرها.

5-يمكننا القول إذا ما أردنا المذهب الذي ينتمي إليه الشاعر نجده واقعاً تحت تأثير الرومانسية وقوانينها المثالية المشرقة بالتعرض للأنثى على سبيل المثال.

6-وإذا ما وقفنا على معجم الشاعر الشعري مستقصين ألفاظه في الحب والحنين والشوق نجد أن ألفاظ الحب والمشاعر والأحاسيس واضحة جلية في شعره لاسيما الألفاظ التي تخص الموت والفناء والحب الأبدي وإن غيبها الموت.

المصادر

ابراهيم, شهاب جمعة(2025) صورة الحبيبة بين الأدب العربي وديوان سليمان القانوني دراسة مقارنة , مجلة كلية التربية , جامعة واسط, المجلد 61 , العدد 2 .

إبراهيم, طه أحمد(2004) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري , مكة المكرمة.

ابن منظور (2009) لسان العرب, المجلد الثاني, باب الحاء مادة (حنن) , دار العلمية , بيروت.

أحمد, نسرين وعبدالله , محمد عماد (2021) نظرية الشخصية عند كارل يونج (دراسة نفسية نقدية) , مجلة الزرقاء للبحوث والدراسات الإنسانية , جامعة اليرموك , المجلد 21 , العدد 2 .

جاسم, حامد صالح(2007) صورة الأم في الشعر العراقي الحديث , مجلة ديالى ,العدد 25.

الجبوري , جواد الحاج (2022) المجموعة الشعرية الكاملة (رحيق القوافي), ط1, دار المرايا للنشر والطبع والتوزيع , باب المعظم, بغداد , العراق.

جدي, فاطمة الزهراء (2022) مظاهر الحزن في الشعر العربي المعاصر , الشعراء الرواد أنموذجاً , جامعة الجيلالي اليابس , الجزائر , مجلة النص , المجلد 9, العدد2 .

الجزائري, طاهر (1990) باب الحنين إلى الأوطان , الجاحظ ,مراجعة : مطبعة هنداوي.

حسن, عزة (1986) شعر الوقوف على الأطلال من الجاهلية نهاية القرن الثالث (دراسة تحليلية), دمشق .

خُوَّر, محمد إبراهيم (1973)الحنين إلى الوطن في الادب العربي حتى نهاية العصر الأموي , دار نهضة للطبع, مصر.

الداية, محمد رضوان (2001) في الأدب الأندلسي , ط1, دار الفكر المعاصر, دمشق , سوريا.

الدويهي, خليل(1994) ديوان أبي فراس , ط2, دار الكتاب العربي , بيروت, لبنان.

ديوان امرئ القيس (2009) تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم, ط5, دار المعارف , مصر .

ديوان ابن زيدون (1994) شرح: د.يوسف فرحات , ط2 , دار الكتاب العربي , بيروت .

ديوان قيس بن الملوح (1999) (مجنون ليلى) رواية ابي بكر الوالي , دراسة وتعليق , يسرى عبد الغني , دار الكتب العلمية , بيروت , لبنان .

الشايب, أحمد(1994) أصول النقد الأدبي, ط10 , مكتبة النهضة المصرية, القاهرة.

عبيد, محمد صابر(2014) التشكيل النصّي الشعريّ السرديّ ,السير ذاتيّ , عالم الكتب الحديثة , أربد , الأردن .

عثمان, نغم عاصم (2017) الرومانسية وبحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية , ط1, المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية للنشر, العتبة العباسية المقدسة , كربلاء.

العرود, علي أحمد محمد (2008) جدلية نزار قباني في النقد العربي الحديث , دار الكتاب الثقافي, أربد , الأردن.

علاونة, شريف راغب (2003) قضايا النقد الأدبي والبلاغة في كتاب عيار الشعر (في ضوء النقد الحديث) , ط1, دار المناهج للنشر والتوزيع, عمان , الاردن.

عليخ , محمد علي جبار(2025) المذهبات في الناصرية بلسان أبنائها , الجزء الأول , بيروت.

عوض, ريتا(1974) أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث , رسالة ماجستير , الجامعة الأمريكية في بيروت.

عويض , نضال عليان(2015) الغربة والحنين في شعر أحمد شوقي (دراسة تحليلية), رسالة ماجستير, الجامعة الإسلامية, غزة, فلسطين.

الفيروز آبادي (1986) القاموس المحيط , ط1, مؤسسة الرسالة , بيروت , لبنان.

القاضي, النعمان عبد المتعال(1965) شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام, ط1, الدار القومية للطباعة والنشر , القاهرة , مصر.

القرطاجني, حازم (1981) منهاج البلغاء وسراج الأدباء , ط2, تقديم وتحقيق :محمد الحبيب بن الخوجه , دار المغرب الإسلامي , بيروت , لبنان.

القيسي, نوري حمودي(1998) الطبيعة في الشعر الجاهلي, دار الإرشاد للطباعة والنشر , بيروت.

ناظم, حسام وآخرون (2021) ديوان الجواهري دار الشؤون الثقافية , بغداد , العراق.

نمر, حنا(1982) دراسات في الأدب والفن , ,المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر,ط1 , بيروت , لبنان.

اليحيى, فرحان (2001) أزمة المواطنة في شعر الجواهري (دراسة تحليلية في ضوء المنهج التكاملي) , منشورات اتحاد الكتّاب العرب , دمشق .